المحاضرة 04: حياة الإمام أبو الأعلى المودودي وجهوده الدعوية

أولا: نسبه ومولده:

هو أبو الأعلى المودودي بن سيد أحمد حسن بن سيد حسن بن وارث علي، يرجع بنسبه البعيد إلى جد الأسرة المودودية: قطب الدين مودود، صاحب الطريقة الجشتية التي ازدهرت في الربع الأول من القرن 6هـ في منطقة «هرات» في أفغانستان، ويرجع نسب قطب الدين إلى سيدنا علي بن أبي طالب.

وقد ولد أبو الأعلى المودودي في 24 سبتمبر 1903 في مدينة أورنك آباد بمقاطعة حيدر آباد.

ثانيا: نشأته العلمية والمهنية:

نشأ الإمام في أسرة متدينة صوفية تنتمي للشيخ قطب الدين مودود الجشتي. وقد رفض والده تعليمه بالمدارس الإنجليزية في إطار مواجهته حكم الاستعمار البريطاني للهند ونظامه التعليمي والتربوي، فكان مُدَرِّسَه الأول، منه تعلم العربية والقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف والفقه، والتاريخ واللغة الفارسية والأوردية. واصطحبه معه إلى مجالس أصدقائه من العلماء والمثقفين والمتدينين.

ونظرا لتميزه وتفوقه، التحق مباشرة بالمدرسة الثانوية في أورنك آباد ثم المدرسة العليا. ثم التحق بوالده في حيدر آباد بعد مرضه لخدمته إلى أن توفي عام 1919، ولم يتجاوز حينها الـ 16 من عمره. واضطرته الظروف الاجتماعية إلى العمل محررا بمجلة التاج في مدينة بجنور، وبعدما أغلقتها السلطات عمل مع جمعية إعانة وغوث المسلمين.

وانتقل المودودي بعدها إلى دلهي وأصدر برفقة مدير جمعية علماء الهند جريدة "المسلم" التي تولى فيما بعد إدارة تحريرها. واستثمر فرصة إقامته بدلهي بين 1921و1928 للتعمق في الثقافة الإسلامية، بعدما التقى نخبة من أهل العلم، فدرس علوم العربية والآداب والتفسير والحديث، وحفظ موطأ الإمام مالك، وتعمق في الفقه والأصول. كما تعلم المودودي الإنجليزية، واطلع على الأدب الإنجليزي والعلوم الاجتماعية الغربية، واجتاز امتحان "مولوي" الذي يعادل الليسانس.

وواصل قراءة الكتب والإقبال على المعرفة، ويقول عن ذلك "من عام 1929 إلى 1939 أفرغت عددا من خزانات الكتب والمراجع في ذهني، استعدادا للمهمة الجديدة، مهمة الدعوة إلى الإسلام في عصر

مليء بالأفكار والتيارات ويفرض على الداعية أن يتزود بزاد كمي علمي، وأن يحظى بعصا من البرهان يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه، ويحقق بها المآرب الأخرى."

ثالثا: **مساره الدعوي والسياسي**

في ظل هيمنة الاستعمار البريطاني على مفاصل الحياة بالهند، اهتم المودودي في سن مبكرة بالشأن السياسي والاجتماعي، وانعكس ذلك في مقالاته وهو لم يجاوز سن 16. وزاد اهتمامه بشكل أكبر لما انتقل إلى دلهي، والتقى كبار جمعية علماء الهند، وعلى رأسهم مفتي الديار الهندية الشيخان "كفاية الله" و"أحمد سعيد" واحتك بحركة "المحافظة على الخلافة العثمانية "التي انطلقت سنة 1919 وكان قلمها والمدافع عنها في مقالاته.

وانشغل بمشكلة التصادم بين المسلمين والهندوس لا سيما بعد أحداث عام 1926، حيث اتهم غاندي الإسلام بأنه دين عنف وأنه انتشر بالسيف. وتمنى محمد علي جوهر حينها في خطاب له بالجامع الكبير في دلهي أن يفند أحد من المسلمين اتهامات الهندوس وافتراءاتهم على الإسلام. ولم يكن هذا الشخص سوى المودودي الذي جمع ما كتبه من مقالات في الموضوع في كتاب بعنوان "الجهاد في الإسلام."

أصدر عام 1932 مجلة "ترجمان القرآن" التي قامت بدور كبير في إشعاع الحركة الإسلامية والثقافة الإسلامية بالقارة الهندية، وكانت منبرا للمودودي وعدد من أعلام الفكر والدعوة بالقارة المذكورة، كما كانت منارا للثقافة الإسلامية. وعن طريق المجلة تعرَّف على الشاعر والمفكر محمد إقبال الذي استطاع إقناعه بالانتقال إلى لاهور في إقليم البنجاب عام 1938، ليتعاونا في النشاط الفكري والدعوي والسياسي، ومساندة مسلمي الهند.

وأسس عام1941 الجماعة الإسلامية بمدينة لاهور، وانتخب في هذا العام أميرا لها. وانشغل بعد ذلك بالدعوة ومسؤوليات الجماعة، وعمل محاضرا شرفيا بكلية "حماية الإسلام" في لاهور لمدة عام كامل. وقد ألقى محاضرات وشارك في مؤتمرات علمية في كل أرجاء العالم.

وأعلنت هذه الجماعة –التي تعتبر ثاني أكبر الجماعات الإسلامية في العالم بعد جماعة الإخوان المسلمين– أنها تعد الإسلام منهج حياة للمسلمين وليس مجرد شعائر تعبدية وعاطفة وانتماء ديني متوارث، وأكدت اعتمادها مبادئ الإسلام دستورا لحياة الإنسان المسلم، واتخاذ الشريعة الإسلامية دستورا للبلاد، واعتبرت أن الدعوة الإسلامية سعت لتحقيق هدفين:

- الأول تطبيق الشريعة الإسلامية في مجمل أراضي باكستان.
- الثاني مواجهة تيار التغريب والأيديولوجيات الوافدة.

وباتت الجماعة الإسلامية في مواجهة سياسية مع التيار القومي واليسار والعلمانيين الذين تحالفوا في "حزب الشعب".

وخاضت الجماعة تجربة نضال مشترك مع حزب الرابطة الإسلامية بقيادة محمد علي جناح، وقادا معا بدعم من المفكر إقبال كفاح المسلمين ضد الاضطهاد الطائفي الهندوسي حتى حدث تقسيم الهند، وأعلن في 28 أغسطس 1947 قيام دولة باكستان.

ولم تمض 5 أشهر على قيام هذه الدولة الوليدة حتى ألقى المودودي خطابا في كلية الحقوق في لاهور، طالب فيه ببناء النظام الباكستاني على أساس القانون الإسلامي، وأعاد التأكيد على المطلب في عدد من خطاباته. وتضايقت الحكومة من توسع مطلبه بين الناس، فاعتقلته يوم 4 أكتوبر 1948 مع عدد من قيادات وأعضاء الجماعة، ولم تفرج عنهم إلا يوم 28 ماي 1950.

واعتقل المودودي مرة أخرى بعد أحداث عنف طائفي في لاهور يوم 28 مارس 1953، وأصدرت المحكمة العسكرية حكما بإعدامه بتهمة التأجيج الطائفي. وطلب منه تقديم طلب عفو يتضمن الإقرار بالذنب لكنه رفض. وأمام الضغط الشعبي وأنصار الجماعة والمتعاطفين معها، ومناشدات علماء كبار من العالم الإسلامي للسلطات الباكستانية، خُفِّف الحكم إلى السجن مدى الحياة، وبعد ذلك أُسقط نهائيا بالعفو وأفرج عنه عام 1955.

وصدر الدستور الإسلامي في باكستان يوم 23 مارس 1956، ودعا المودودي إلى العمل به على الرغم مما سجل حوله من نقائص، بل قامت الجماعة الإسلامية بالدعاية له وشرح نصوصه وأحكامه.

وفي عام 1963، تم إعلان دستور جديد فهاجم المودودي السلطات العسكرية في مقال بمجلته "ترجمان القرآن" فردت عليه بإصدار قرار حظر نشاط الجماعة الإسلامية وإعلامها، واعتقاله والعشرات من قيادات الجماعة يوم 6 جانفي 1964، لكن المحكمة العليا أبطلت الحظر والاعتقال معا، وأُفرج عن الجميع في أكتوبر من العام نفسه.

ودعا المودودي مع آخرين عام 1967 إلى تشكيل ائتلاف حزبي باسم "الحركة الديمقراطية الباكستانية" لمواجهة السعي لتحجيم الإسلاميين. ولم ينجح حرصه على تجنب المواجهة والصدام بين القوى الإسلامية ومعارضيها، لكنه حدث وانتهى بانتصار الإسلاميين، الأمر الذي دفع السلطة لإعلان الأحكام العرفية في مارس 1968، وتمت مهاجمة مقرات الجماعة في لاهور، واعتقل المودودي مجددا وأفرج عنه بعد شهرين.

وبعد انتخابات مارس 1977 نددت جماعته بالبرنامج الاشتراكي لرئيس الوزراء ذو الفقار علي بوتو، لكن هذا الأخير اضطر أمام ضغط تحالف التيار الإسلامي والمحافظين لإصدار تشريعات بصبغة إسلامية من قبيل إقرار يوم الجمعة إجازة أسبوعية، ومنع الخمور والقمار، وحظر النوادي الليلية، لكن ذلك لم يقنع الجماعة وعزمت على الإطاحة به وبنظامه، وعلى الرغم من إعلانه وعدا بتطبيق الشريعة الإسلامية خلال 6 شهور، لم تتوقف المظاهرات التي انتهت بانقلاب ضياء الحق عليه عام 1977.

رابعا: أهمّ جهوده الدعوية:

إن الأستاذ المودودي قد وهب حياته وقلمه لخدمة الإسلام والمسلمين، والذب عن الشريعة البيضاء، ولا يمكن استقصاء جهوده في هذا البحث الموجز، ومن أبرزها ما يلي:

01-الدعوة إلى إقامة النظام الإسلامي: بدأ الأستاذ المودودي دعوته الإسلامية (إقامة الدين أو إقامة النظام الإسلامي) في هاتيك الأحوال بإصدار مجلته «ترجمان القرآن» من حيدر آباد الدكن عام 1933م الذي كان شعارها: «احملوا ـ أيها المسلمون ـ دعوة القرآن، وانهضوا، وحلقوا فوق العالم.«

فبدأ إلى دعوة الآخرين بما آمن به وإلى ما اهتدى إليه..... ويقول الإمام في هذا الصدد: «إنني مسلم آمنت بالإسلام بعد تجربة واختبار، خرجت بعدها مصقولًا لامعًا. عقلي وقلبي يشهدان أنه لا طريق سوى الإسلام لتحقيق الفلاح والصلاح، إنني لا أدعو غير المسلمين فقط، بل أدعو المسلمين أيضًا إلى الإسلام..... إنها دعوة ونداء للجميع: أن تعالوا نقضي على هذا الظلم والطغيان اللذين انتشرا في العالم، ونحطم عبودية الإنسان للإنسان، تعالوا نبني دينًا جديدًا طبقًا لخريطة القرآن..... حيث يعيش فيها الإنسان مشرفًا معززًا، وحيث يسود العدل، وتعم المساواة والحرية، وترفرف أعلام الأمن والحب والسلام.«

وفي أبريل 1941م كتب الأستاذ مقالًا في «ترجمان القرآن» تحت عنوان: «الحاجة إلى جماعة صالحة»، ووضّح في هذا المقال: «أن الإنسان اليوم جرّب كل النظم والنظريات لإسعاد حياته، ولكنه لم ينجح في هذه التجارب، ولم يبق أمامه الآن إلّا الإسلام. والإسلام هو دين وحيد يضمن للإنسان الفلاح والنجاة في

الدنيا والآخرة، ولكنه لابد من إقامة حزب وجماعة تحمل جميع تعليمات الإسلام من غير تجزئة ولا إضافة، لكسر شوكة الحضارات الجديدة وهدمها، وإقامة الحضارة الإسلامية. ولا يكفي مجرد وجود نظام إسلامي، بل لابد من وجود جماعة صالحة تقدم هذا النظام في صورة عملية سليمة، تؤمن إيمانًا صادقًا بصحة هذا النظام، وتتحمل المصائب والمحن في هذا السبيل.«

02-تأسيس الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية: في عام 1360هـ أعلن الأستاذ أن الذين تتوفر لديهم الرغبة في تأسيس الجماعة الصالحة عليهم أن يجتمعوا في «لاهور» في غرة شهر شعبان المعظم لبحث إجراءات تأسيس حركة إسلامية في شكل منظم. فاجتمع خمسة وسبعون رجلًا، وتشاوروا في الأمر، واجتمعت كلمتهم على تأسيس جماعة تقوم بهذه الدعوة، أي دعوة إقامة الدين وما يلزمها من تنفيذ القانون الإلهي في الأرض وتوطيد نظم الملك والعمران والاجتماع والاقتصاد على دعائم العدالة الاجتماعية والبر والتقوى التي جاء بها الإسلام ودعا العالمين جميعًا إلى اتباعها والسير عليها، فأسسوا «الجماعة الإسلامية» في 2 شعبان1360هـ الموافق 26 أوت1941م، وانتخب الأستاذ أميرًا لهذه الجماعة بالإجماع

وتتمثل منطلقات هذه الجماعة فيما يلي:

-تدعو الجماعة الإسلامية البشريةَ كافة والمسلمين خاصة إلى أن يعبدوا الله وحده، ولا يشركوا به شيئًا، ولا يتخذوا إلهًا ولا ربًّا غيره.

-تدعو الجماعة كل من أظهر الرضا بالإسلام دينًا كاملًا إلى أن يخلص دينه لله تعالى، ويزكي نفسه من شوائب النفاق، وعمله من التناقض.

-تدعو جميع أهل الأرض أن يحدثوا انقلابًا عامًا في أصول الحكم الحاضر الذي استبد به الطواغيت والفجرة الذين ملأوا الأرض فسادًا، وأن ينتزعوا هذه الإمامة الفكرية والعملية من أيديهم، حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويدينون دين الحق، ولا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا.

فالجماعة الإسلامية هي جماعة عقائدية إسلامية شاملة تعمل في كل ميدان من ميادين الحياة البشرية، وليست مجرد حزب سياسي أو منظمة دينية أو مؤسسة إصلاحية.

أ-تاريخ موجز لعمل الجماعة الإسلامية قبل تقسيم البلاد: إنّ الجماعة قد عنيت بوجه خاص من لدن تأسيسها في شعبان 1360هـ إلى يوم التقسيم 27 رمضان 1366هـ بأمرين:

–نشر الدعوة وتعميم كلمتها في الديار الهندية، وأداء الشهادة القولية على أتم طريق وأحسنه، وذلك في مختلف اللغات الهندية الرائجة في أقطارها.

–الاهتمام البالغ بأداء الشهادة العملية بأن يظهر أعضاؤها في أخلاقهم ومعاملتهم وسائر أعمالهم بمظهر وضئ وقور يكون حجة ناطقة للإسلام على أهل هذا العصر.

في عام 1947م انقسمت شبه القارة الهندية إلى دولتين: الهند، وباكستان الإسلامية، التي حصل عليها المسلمون بعد كارثة عظيمة قتل فيها زهاء خمس مائة ألف نسمة من أبناء الإسلام. ومع هذا التقسيم انقسمت الجماعة إلى:

الجماعة الإسلامية بالهند.

الجماعة الإسلامية بباكستان.

الجماعة الإسلامية بولاية جامو وكشمير المحتلّة.

***مآثر الجماعة الإسلامية بباكستان:**

–مساعدة اللاجئين المنكوبين الذين ألجأتهم المجازر المتواصلة والمذابح المتتابعة في الهند إلى اختراق حدود باكستان وانضواء تحت كنفها حيث إن الجماعة قد بذلت جميع جهودها في بضعة شهور من عهد الاستقلال في مساعدة اللاجئين وتعهّدهم بإيوائهم والإشراف على أمورهم والسهر على مصالحهم المتنوعة المتشعبة.

–وقوف الجماعة ضد أطماع ذو الفقار علي بوتو الاشتراكي، في جعل دستور باكستان اشتراكيًا علمانيًا.

–مطالبة الجماعة الحكومة الباكستانية بوضع دستور إسلامي لباكستان، فقد بذلت الجماعة جميع جهودها في ذلك، وظلّت تمارس الضغط على الفئة الحاكمة إلى أن تم وضع دستور إسلامي عام 1956م.

–وقفت الجماعة إلى جانب اللاجئين والمجاهدين الأفغان إذ قدمت لهم المخيّمات والمستشفيات وساندتهم.

كان عدد أعضاء الجماعة حتى أواخر العام 1974م4566عضوًا، وذلك مع أن عضوية الجماعة لا تتحصل إلّا بعد أن يستمر المرء مؤيدًا لها وناصرًا عدة سنوات، ويثبت أنه كفؤ لتحمل عبء العضوية. وعدد أنصار الجماعة 45627 شخصًا. وذلك فضلًا عن مئات الألوف من الأنصار والمؤيدين الذين لم تسجل أسماؤهم. وعدد الفروع المكونة من الأعضاء 529 فرعًا. وعدد الفروع المكونة من الأنصار

والمؤيدين 4175 فرعًا. ومراكز دروس القرآن 2465 مركزًا. والمعاهد والمدارس الدينية 476 معهدًا. أما المستشفيات والعيادات فهي 80 وحدة.

***مآثر الجماعة الإسلامية بالهند:**

أهم مآثر الجماعة الإسلامية بالهند كالتالي:

-**توحيد صفوف المسلمين:** قد لعبت الجماعة الإسلامية الهندية دورًا بارزًا في تشكيل اللجان والمجالس المشتركة التي تضمّ مختلف منظمات المسلمين، من أهمها «المجلس الإسلامي الاستشاري لعموم الهند»، و«المجلس الإسلامي للحفاظ على قانون الأحوال الشخصية للمسلمين.«

-الدفاع عن قانون الأحوال الشخصية للمسلمين:

وقوف الجماعة الإسلامية بالتنسيق مع المنظمات الإسلامية الأخرى ضدّ أطماع مطالبة المنظمات الهندوسية من جهة والأحزاب الاشتراكية من جهة أخرى من الحكومة الهندية بإلغاء قانون الأحوال الشخصية للمسلمين وفرض القوانين المدنية الموحدة، وقد عارضت الجماعة هذه المطالبة، وأكدت على الحكومة الهندية أن أيّة خطوة من شأنها إلغاء قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ستكون مرفوضة من قبل جميع المسلمين، لأنها تخل بدينهم وعقيدتهم.

-**الحفاظ على المقدسات الإسلامية:** تطالب المنظمات الهندوسية بتحويل عدد من المساجد التاريخية المعروفة إلى معابد هندوسية، وتزعم أن هذه المساجد بنيت على أماكن آلهة الهندوس. وقد قامت الجماعة بالتنسيق مع المنظمات الإسلامية بتشكيل لجنة خصيصة لشؤون المساجد، وذلك لاتخاذ موقف موحّد إزاء القضية في جميع أطرافها. وأكدت الجماعة بشدة على أن مسلمي الهند يرفضون أي موقف يؤدي إلى انتهاك حرمة المساجد والنيل منها في البلاد.

-تندد الجماعة الإسلامية بسياسة الحكومة الهندية تجاه اللغة الأردية، وتطالبها بالاعتراف بهذه اللغة كإحدى اللغات الرسمية في الولايات الشمالية بالهند. حيث تعتبر اللغة الأردية لغة المسلمين بشكل عام، لأنها نشأت وتطورت خلال فترة حكم المسلمين في الهند، وتحتوي على عدد كبير من المفردات العربية والفارسية، كما أنها غنية بالإسهامات الفكرية والأدبية والعلمية للمسلمين في شبه القارة الهندية، وقد انتشرت هذه اللغة سريعًا في المنطقة. ومنذ انقسمت الهند اتخذت الحكومة الهندية سياسية صرف النظر عن هذه

اللغة، وإحلال اللغة الهندية محلها. وكانت هذه السياسة للحكومة الهندية بالغة الخطورة، لأنها تعني انسلاخ الجيل القادم عن تراثه العلمي والفكري.

–إعداد المناهج الدراسية باللغة الأردية من الروضة إلى مرحلة الجامعة في مختلف المواد من اللغة وعلم الاجتماع والرياضيات والتاريخ والعلوم على الأسس الإسلامية، وقد نالت المناهج قبولًا واسعًا.

وكان عدد أعضاء الجماعة حتى أواخر عام 1424هـ 5659عضوًا، وذلك مع أن عضوية الجماعة لا تتحصل إلّا بعد أن يستمر المرء مؤيدًا لها وناصرًا عدة سنوات، ويثبت أنه كفؤ لتحمل عبء العضوية.

وعدد أنصار الجماعة 326664 شخصًا. وعدد الفروع المكونة من الأعضاء 693 فرعًا، وعدد الفروع المكونة من الأنصار والمؤيدين 4679 فرعًا، ومراكز دروس القرآن 5372 مركزًا، والمعاهد والمدارس الدينية 1117 معهدًا، وأما المستشفيات والعيادات فهي 4 وحدات.

في سنة 1972م بعد نحو ثلاثين عامًا من الكفاح الطويل طلب المودودي إعفاءه من منصبه كأمير للجماعة الإسلامية لأسباب صحية، وانصرف إلى البحث والكتابة؛ فأكمل تفهيم القرآن، وشرع في كتابة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

03–جهاده ضد الحركات الهدامة والمعادية للإسلام وآثاره: ركز الإمام المودودي جهاده ضد الحركات المعادية للإسلام التي أنشأت تحت رعاية الاستعمار الغاشم في شبه القارة الهندية. ونذكر منها:

أ–حركة عدم حجية السنة النبوية: أنشأت هذه الحركة إثر غزو الاستعمار الحضاري على العالم الإسلامي، وقد انتشرت في شبه القارة تحت رعاية الاستعمار، وقويت شوكتها في باكستان في عهد الرئيس أيوب خان، حيث حصلت لهم سلطة تنفيذية في شؤون الدولة، فأصبحت تثير البلبلة الفكرية حول السنة النبوية، وتصدر كتبًا ومجلاتٍ مضللةً تقوم أجهزة الحكومة على توزيعها.

وكانت هذه الفئة تفسّر الآيات القرآنية بتفسيرات جديدة، كتفسير قطع يد السارق بكسر شوكة السارق بالسجن أو بالتغريم، وتفسير الزكاة باستثمار المال في المشاريع الإنمائية، وأدهى من كل ذلك وأنكى تفسيرهم بأن رئيس الدولة هو يملك ما كان يملك الرسول ﷺ في عهده من سلطة للتشريع وتفسير الأحكام القرآنية بما يراه من المصلحة في عصره بدون أن يراجع سنة الرسول ﷺ. فجاء الامام في الميدان، وتناول جميع أكاذيب هذه الفئة، وحطمها علميًا وتاريخيًا وعقليًا، وبيّن أن السنة هي شارحة للقرآن ومصدر ثان للتشريع الإسلامي، وتمكّن إلى حد كبير من القضاء على هذه الفتنة العمياء.

ب–طائفة القاديانية: كان المودودي رحمه الله من أكبر المحاربين للقاديانية، هذه الطائفة الضالة التي نبتت في أرض مسلمة طاهرة نهاية القرن 19 م بإيعاز وتمويل مادي من الانجليز. حيث أراد هذا المستعمر البغيض محاربة الإسلام من داخله.

تنسب الأحمدية أو القاديانية إلى "غلام أحمد القادياني" المولود سنة 1840 م في قرية قاديان من مقاطعة بنجاب الهندية، هذا النكرة الذي ادعى النبوة وكفّر كل من لم يؤمن بنوبته. وقد تغلل هو وطائفته في مفاصل الحكم بالهند وصار يبشّر بدعوته داخل الهند وخارجها..

تصدّى المودودي لهذه الدعوة الباطلة بلسانه وقلمه، ودعا هو وكثير من العلماء آنذاك الحكومة الباكستانية إلى اعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة، وألّف كتابه المسألة القاديانية وأوذي في نضاله هذا وأدخل السجن وحكم عليه بالإعدام. لكن عناية الله به جعلته يخرج من السجن إثر انقلاب في الحكم حينها. كما أن الحكومة الجديدة انتصرت لفكرة الإمام واعتبرت القاديانية أقلية غير مسلمة.

04–جهاده في إقامة دولة الإسلام في باكستان:

من المعلوم أنه قد تسلم زمام السلطة في باكستان طبقة متفرنجة بعد الانقلاب، فبدأت بعد بضعة شهور تثير الشبهات عن الإسلام وعن صلاحيته كنظام للدولة العصرية، فبدأ يلقي المحاضرات أمام الشعب الباكستاني في هذا الصدد، وحذّرهم وبيّن لهم: أن هذه الطبقة المتفرنجة لو تمكّنت من وضع قواعد الدولة الباكستانية الناشئة على نظريات منحرفة ـ ولا قدر الله ـ يستحيل تغييرها بعد ذلك إلّا بالتضحيات التي تكون أكبر حجمًا ألف مرة بالنسبة للوضع الحالي. ثم وضع الإمام مطالبه في أربع نقاط وطلب من الجمعية التأسيسيّة عام 1948م، إقرارها كأهداف للدولة، وهذه النقاط هي:

–إن الحاكمية في باكستان لله وحده، وأن الحكومة الباكستانية ليس لها إلّا تنفيذ مرضاة الله.

–إن الشريعة الإسلامية هي القانون الأساسي للدولة.

–تلغى جميع القوانين الرائجة المخالفة للشريعة الإسلامية، ولا يوضع في المستقبل قانون ينافي الشريعة.

–إن حكومة باكستان تمارس سلطاتها ضمن حدود حددتها الشريعة الإسلامية.

وانتشرت هذه المطالب في جميع أنحاء باكستان، وبدأ الشعب مع الشيخ يطلب بوضع الدستور الإسلامي. فاتّهم الشيخ بعدة اتهامات، وألقي القبض عليه مرتين، وليس هذا فحسب، بل حكم عليه في المرة الثانية

بالإعدام، لكن هذه المضايقات كلها لم تقل من عزمه من هذه المطالبة إلى أن استبشر الشعب الباكستاني بصدور دستور إسلامي عام 1956م.

خامسا: ثرواته العلمية وآثارها:

01-ثروته العلمية: قد خلف الأستاذ المودودي ثروة علمية ضخمة التي تحوي على أمرين رئيسين:

أ-أنه أوضح مؤثرات الجاهلية القديمة والحديثة التي وجدت سبيلها إلى المجتمعات الإسلامية، وشرح بالنقد والفحص عيوب الجاهليات وموبقاتها الفكرية ومضارها الخلقية والاجتماعية في هذه الكتب، وانتقد دعاة الجمود والتقليد، وانتقد أدعياء الاجتهاد المطلق والحركات الهدامة التي نشأت في المجتمع الإسلامي كأثر لهذه الحضارة المادية، وذلك بالبراهين العقلية القاطعة.

ب-أنه شرح نظام الحياة للإسلام كما هو المستمدّ من الكتاب والسنة بأسلوب عقلي قائم على الاستدلال في قالب عصري يوافق أذواق أهل العصر وطبائعهم.

والكتب التي خلّفها المودودي في مختلف الموضوعات -مثل القرآن والسنة والسيرة النبوية والعقائد والإلهيات ومبادئ الإسلام الأساسية والدعوة والحركة والاقتصاد والمعيشة والأخلاق والتزكية والحياة الاجتماعية والتعليم والثقافة ومواجهة التحديات المعاصرة – تزيد عن مائة كتاب. والميزة العامة لهذه المؤلفات هي الجدة والعمق والنسق المنطقي الذي يخاطب عقل القارئ وقلبه جميعًا. وأهم هذه الكتب:

- الجهاد في الإسلام: وقد ألفه سنة (١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨م).
-لحضارة الإسلامية (أصولها ومبادئها): وقد كتبه سنة (١٣٥٠ هـ = ١٩٣٢م).
-نظرية الإسلام السياسية: كتبه سنة (١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩م)
-تجديد وإحياء الدين: كتبه سنة (١٣٥٩ هـ = ١٩٤٠م).
-الاصطلاحات الأربعة الأساسية في القرآن: كتبه سنة (١٣٦٠ هـ = ١٩٤٠م).
- الإسلام والجاهلية: كتبه سنة (١٣٦٠ هـ = ١٩٤١م).
- الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية: كتبه سنة (١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥م).
- الدين الحق: كتبه سنة (١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧م).
-نظام الحياة الإسلامي: كتبه سنة (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨م)
-حقوق أهل الذمة: كتبه سنة (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨م).

-مطالب الإسلام تجاه المرأة المسلمة: كتبه سنة (١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣م).

-قضية القاديانية: كتبه سنة (١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣م)

١٣-تفسير تفهيم القرآن: ويقع في ستة أجزاء، وقد بدأ كتابته سنة (١٣٦٠ هـ = ١٩٤١م)، وأتمه في سنة (١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م).

-سيرة النبي ﷺ : وقد شرع في تأليفه سنة (١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م)، وأتمه قبيل وفاته، وهو آخر مؤلفاته.

وقد حظيت مؤلفات المودودي بشهرة عريضة في جميع أنحاء العالم ولقيت قبولا واسعًا في قلوب المسلمين في شتى البقاع؛ فترجم الكثير منها إلى العديد من اللغات، حتى بلغ عدد اللغات التي ترجمت مصنفات المودودي إليها ست عشرة لغة، منها: الإنجليزية، والعربية، والألمانية، والفرنسية، والهندية، والبنغالية، والتركية، والسندية...، ونالت استحسان ورضى المسلمين على شتى مستوياتهم واتجاهاتهم.

02-آثار هذه الثروة العلمية على العالم: لاشكّ أن كتبه قد أثرت فكريًا وعمليًا وتربويًا في العالم الإسلامي، وأهم هذه الآثار كالتالي:

أ-إن كتبه قد تمكّنت -بفضل الله تعالى- مئات الألوف من المسلمين المثقّفين من تخليص أذهانهم من العبودية الفكرية للحضارة الجاهلية الحديثة، وأعاد ثقتهم بصلاحية الإسلام لقيادة الركب البشري في هذا العصر، وخاصة كتابه «نحن والحضارة الغربية.»

ب-إن كتبه قد اهتدى به الكثيرون إلى الإسلام، وخاصة كتابه «مبادئ الإسلام»، فقد اهتدى به كثير من الغربيين، ووردت المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ آلاف من الرسائل من الذين قرؤا هذا الكتاب فخرجوا من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام،

ج-إن كتبه قد أثارت مشاعر شباب شبه القارة الهندية، فطمحوا إلى مجد الإسلام والمسلمين وإقامة الدولة الإسلامية، فأنشأوا عدة جمعيات كلها تسعى إلى إقامة الدين، مثل:

-حركة الطلاب الإسلامية بالهند

-منظمة الطلاب الإسلامية بالهند

-اتحاد الطلبة الإسلامية بالنيبال.

-جمعية الطلبة الإسلامية بباكستان.

-حركة الطلاب الإسلامية ببنغلاديش

-منظمة الطلبة الإسلامية بسريلانكا.

***جائزة خدمة الإسلام:** لقد لقي المودودي التكريم الذي يستحقه، حيث أن الخدمات التي قدمها في مجال الدعوة والفكر الإسلامي، جعلته الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، وهي أول جائزة تمنح لداعية إسلامي ومفكر، وقد تسلمها بالنيابة عنه ابنه (الفاروق) في حفل كبير رعاه الملك خالد بن عبد العزيز في الرياض في شهر ربيع الأول سنة 1399هـ / 1979م. وقد تبرع بقيمة الجائزة لإنشاء مجمع المعارف الإسلامية بلاهور.

سادسا: معالم التجديد في فكر المودودي:

ظلَّ الإمام المودودي – رحمه الله – ينافح بقلمه ولسانه عن الإسلام والمسلمين، ويتصدى لدعاة العلمانية في القارة الهندية من أبناء المسلمين الذين يريدون السير على منهاج (أتاتورك) الذي ألغى الخلافة الإسلامية، وسار في ركاب جمعية الاتحاد والترقي الماسونية. وهو صاحب فكرة ومشروع إنشاء الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وبعد إنشائها صار عضواً في مجلس الجامعة. وكان عضواً مؤسساً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

كما كان رحمه الله يطرح الفكر الإسلامي الأصيل المستقى من الكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة، وينبري مفنداً كل المقولات والدعاوى الباطلة التي يرددها ببغاوات الغرب وعملاء الإنجليز في القارة الهندية وباكستان، كما كان على اطلاع واسع على حضارة الغرب وعوراتها، مما مكنه من نقدها نقد الخبير العارف المتمكن.

لقد دعا الإمام إلى تصحيح الأفكار وتعميق المفاهيم الإسلامية في نفوس المسلمين، ومواجهة فكرة القومية الهندية الموحدة، والدفاع عن فكرة القومية المسلمة، ودعا إلى مواجهة العلمانية، وطرح الدستور الإسلامي وطرق تنفيذه، بالإضافة إلى جهوده في التصنيف والتأليف. وكان دأب الإمام أن يقرن القول بالعمل، حتى لا تكون هناك هوة بين النظرية والتطبيق. ولهذا ركز على ثلاثة أمور في بناء رجاله:

1- أن يكونوا أقوياء في العقيدة، موثوقين في السلوك، يلتزمون بالفرائض، ويجتنبون الكبائر، ويحلون ما أحل الله، ويحرمون ما حرم الله.

2- أن يكون نظام الجماعة والدعوة قوياً محكماً، ولو أدى ذلك إلى أن ينفض عنها أعز عزيز.

3- أن تشمل الجماعة العناصر المثقفة ثقافة إسلامية شرعية، والعناصر المثقفة ثقافة عصرية، تعملان معاً من أجل إقامة النظام الإسلامي الشامل.

ويعتبر الإمام المودودي مفكر الدولة الإسلامية الأول، ويتسم الفكر الإسلامي لديه بعدة سمات وقد طرحها في ثلاث نقاط:

أ- **الحاكمية:** يرى الإمام المودودي أن الله خلق الإنسان والكون، وهو وحده الذي يجب أن يحكمه، واستدل بقوله تعالى: (إن الحكم إلا لله)، والأنبياء هم الذين يعلنون الحاكمية، ولا يجوز لأحد أن يخرج عن حكم الله، بل يجب أن يأتمر بأمر الله، يسجد له، ويرضى بحكمه، ويسلم تسليماً، وقد قرّر الأنبياء هذه الحاكمية مؤكدين ثلاث حقائق، وهي :

– السلطة العليا على الإنسان هي سلطة الله، يخضع لها، ويطيعها، ويقرُّ بعبوديته لها .

– حتمية طاعة النبي – عليه السلام – بوصفه ممثلاً عن السلطان الأعلى، ومبلغاً عن الله.

– القانون الذي يقرّر التحليل والتحريم هو قانون الله وحده، وهو ناسخ لجميع القوانين البشرية، وليس للعباد الحق في مناقشة أحكام الله، وردّها، بل يجب عليهم تنفيذها. وتتمثل حاكمية البشر في العلمانية، والقومية، والديمقراطية.

ب-**الدولة الإسلامية:** ليست الدولة الإسلامية دولة (ثيوقراطية)؛ لأنها ليست دولة رجال الدين الذين يحكمون نيابة عن الله، وليست دولة ديمقراطية صرفة تعطي السلطة للشعب، بل هي دولة إسلامية تقوم على عن الشورى والديمقراطية، الحاكمية فيها لله طبقاً لاختيار الشعب، فالله هو المشرّع، والمسلمون هم المنفذون.

ج-**طاعة الإمام ليست مطلقة:** حينما أوجب الله عز وجل على الرعية أن تطيع ولاة الأمور المسلمين لم يجعل هذه الطاعة مطلقة من كل قيد، وذلك لأن الحاكم والمحكوم كلهم عبيد لله عز وجل، واجب عليهم طاعته وامتثال أوامره، لأنه هو الحاكم وحده، فإذا قصرت الرعية في حق من حقوق الله تعالى فعلى الحاكم تقويمها بالترغيب والترهيب حتى تستقيم على الطريق، وكذلك الحاكم إذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة له، وإنما على الأمة نصحه وإرشاده، والسعي بكل وسيلة إلى إرجاعه إلى الحق شريطة ألا يكون هناك مفسدة أعظم من مصلحة تقويمه، وإلا فعلى الرعية الصبر حتى يقضي الله فيه بأمره ويريحهم منه .

سابعا: وفاته رحمه الله:

بعدما ساءت حالة المودودي الصحية جراء معاناته مع أمراض الكلى والقلب، اضطر للسفر للعلاج بالولايات المتحدة حيث كان يعمل ابنه الثاني طبيبا، وتوفي في نيويورك يوم 22 سبتمبر 1979 عن عمر ناهز 75 عاما. وانطفأت تلك الجذوة التي أضاءت الطريق إلى الرشد، والهداية لكثير من المسلمين، ثم نقل جثمانه إلى باكستان، ودفن في ساحة منزله بمدينة لاهور الباكستانية.

وقد شارك في تشييع جنازته مئات الآلاف من تلاميذ الشيخ ومحبيه من أنحاء العالم الإسلامي، فكانت جنازة مهيبة وموكباً عظيماً يدل على مكانة الرجل، وتقدير الناس له، والوفاء لجهده وجهاده في سبيل الإسلام وتبليغ رسالته، والدفاع عن قضايا المسلمين، والتصدي لأعداء الإسلام من الصهيونيين، والصليبيين والشيوعيين والعلمانيين والمنحرفين، والهدامين الذي يكيدون للإسلام والمسلمين.

لقد رحل المودودي عن عالمنا إلى رحاب ربه، ولكنه بقي بأفكاره وتعاليمه ومؤلفاته الجليلة ليظل قدوة للدعاة على مر العصور، ونبعًا صافيًا من منابع الإسلام الصافي والعقيدة الخالصة.